الأدب العبري المعاصر وتكريس التوسع الصهيوني

رشاد الشامي

في اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ ، والانتصار المفاجيء الذي احرزته اسرائيل ، وحققت بفضله توسعا اقليميا جديدا في الاراضي العربية عبر كل من مصر وسوريا والاردن ، عمت الحياة الثقافية في اسرائيل ظاهرة جديرة بالملاحظة والمتابعة والتحليل ، حفلت بها صفحات الملاحق الادبية الاسبوعية للصحف العبرية — وقد كانت هذه الظاهرة هي وضع الادب العبري ، ان جاز القول ، في قفص الاتهام ومحاكمته بقصد اخذ ما يجب أن يؤخذ عليه ، واضافة ما يجب أن يضاف لصالحه ، وكان موضوع المحاكمة هو : « كيف حدث في الواقع الاسرائيلي المعاصر انه بدلا من ان يسير الشاعر أمام الجندي أن سار الجندي أمام الشاعر ؟ كيف حدث أن الشحنة من الرغبة العميقة لدى الشعب نحو التوسع وراء الحدود الخضراء ، وهي الشحنة التي طفت اليوم على السطح — كيف حدث أن هذه الشحنة لم تظهر من قبل ولم تجد لها صدى وتعبيرا في انتاج الكثيرين من ادباء اسرائيل ؟ » .

وقد حاولت هذه الاسئلة التي طرحها المدعي العام الادبي ضد الادب الاسرائيلي ان تبحث عن اجابة للسبب الذي جعل « قانون الشاعر » الذي يتلقى وحيه من حقيقة هي فيما وراء مصالح الساعة لا يفرض نفسه على « قانون الديبلوماسي » الذي يتحدد وفقا لمتطلبات الساعة ، وانما حدث العكس ، وهو استجابة الشعراء والادباء لما حققه « قانون الديبلوماسي » ، و « قانون الحرب » ، وبدأوا يهللون للقدس والخليل ونهر الاردن والجولان وسيناء مهبط الوحي الموسوي من واقع أن ذلك قد فرض عليهم، ولكنهم لم يسبقوا العسكريين اليه بخيالهم ، وذلك فيما عدا نفر قليل منهم .

لقد كانت الاحتجاجات صارخة لان بعض الادباء الاسرائيليين وضعوا فواصل بين الروح والمادة ، وبين الموضوعات الابدية والموضوعات الوقتية . لقد كان المطلوب من الاديب أو الشاعر الاسرائيلي أن يستجيب تماما لمتطلبات التوسع الصهيوني ، وكما يسير القائد امام جنوده ودباباته ويصيح صيحته العسكرية « ورائي » ، كان على الشاعر أن ينطق بنفس المعنى في منظومات تخترق حدود الارض التي اغتصبتها اسرائيل قبل ٥ حزيران الى المناطق الجديدة التي احتلها جيش الدفاع الاسرائيلي ، والتي يتضمنها « المزمور القديم » ، الذي تغني بتلك الحدود ، وربما بما هو ابعد منها ، وتخطى بذلك ، حسبما يعتقد من عقدوا هذه المحاكمة ، رؤوس الكثيرين ، ومن هم ممتازون من بين ادباء اسرائيل ، وجعل قصائدهم في المؤخرة .

وقد كانت صحيفة « معريف » الاسرائيلية المسائية والواسعة الانتشار من اولى الصحف التي اولت هذا الموضوع اهتماما خاصا ، وافردت له الصفحات . وقد عقدت المحررة جئولا كوهين مع نخبة من ادباء وشعراء اسرائيل ممن يشكلون تيارات الادب العبري المعاصر تمثيلا حقا لانهم هم الذين يحددون ملامحه واتجاهاته ، حلقة مناقشة نشرتها الصحيفة في اعدادها الاسبوعية : ١٩٦٨/١٠/٦ ، ١٩٦٨/١٠/١٣ ، ١٩٦٨/١٠/١٨ ،